عـــــدو المرأة

للسيدة وداد سكاكيني

ما لأيدينا حيلة بأبى العلاء ، فلقد أتى على وفاته ألف سنة أو ما يزيد . لقد كانت المرأة بغيضة إلى نفسه ، كريهة على سمعه ، ولو استطاع أن يبيد من الدنيا كل أنثى لفعل . فواحربا مما فى لزومياته عن بنات حواء ! ما لنا حيلة به فلقد مات وخلد علينا مقاتل الوصف ومطاعن الهجاء . ولعل له عذراً فى امرأة أساءت إليه فعد كل النساء مسيئات ، وغضب عليهن ، وقد عرفه القوم فيلسوفاً متشائماً ناقماً على الحياة والناس أجمعين . ثم أتى على أدب العرب حينٌ من الدهر استراحت فيه المرأة من أعدائها والساخرين منها حتى كان زمننا وجاء توفيق الحكيم

يقول الناس عن توفيق الحكيم إنه عدو المرأة ، ويقول هو ذلك عن نفسه تياهاً مباهياً ، ثم جد فى قوله حتى كتب قصته (عدو المرأة) فعجبت له وقد ألقى سلاحه أمام نانايى الراقصة البولونية ، وعجبت من مذهبه فى البغضاء فسألته هل أبغض أمه وأخواته وخالاته وعماته ؟ وهل كان رجلاً من حمل به ثم ولده فملأ الدنيا بتوفيق الحكيم وشغل الناس بأدبه الرفيع ؟

إذا أقام توفيق الحكيم على رأيه واستبد به فليعش فى عالم غير عالمنا ، فإن من جنسنا الشمس والأرض ، ومن أنوثتنا الحياة . وليحص الأسماء فى المعاجم فيجد فيها الكثير مؤنثاً كالمرأة ، وليترك الزهرة لا يشمها والتفاحة لا يأكلها ، وليعش وحده فى كون من الرجال ممن طالت لحاهم وعرضت مناكبهم وخشنت أصواتهم وقست قلوبهم ، وليترك النساء الرعابيب ، والغيد الأماليد لغيره من الرجال

ولكن على رسله ! ألم تلهمه المرأة رواياته الرائعة ، ومقالاته البارعة ؟ ألم تكن شهر زاد من النساء ؟

إن من عرف باريس وفيها الغواني الحسان لا يكون عدو المرأة إلا إذا نهل منها حتى ارتوى وقاء كالشخص الجريح يخرج من القتال وهو عدو له ، ولكنه لا يظل محارباً عظيماً ، فأهل الفروسية أبداً يدفعهم الشوق إلى استعادة الحرب

المرأة ريحانة من السماء عطر الله بها جنات هذه الأرض وجعلها فيض الحنان وفتنة الوجود . أتمارى — وأنت تنشد الحق — فى سلطانها المطلق ومعانيها التى لا تحد ؟ انظر إلى المتنبي فان خلود شعره من وحى خولة . وتطلع نحو بيرون فقد مات فى سبيل امرأة من اليونان . وتذكر وريث التاج بالأمس أدوار كيف انطلق من قيود العرش ليخضع للمرأة . وإذا كنت مسلماً فان رسولك أحب كثيراً من النساء

لِمَ تصيخ بسمعك إلى أعداء المرأة وغلاظ القلوب ؟ ألا سامح الله المعرى وشوبنهور ، فلقد أورثاك الشنآن ، وطبعاك على التشاؤم . إنهما يسولان لك هذه البغضاء ليعطلا قصصك من مباهج الأرواح ، ومتع الحياة . إنهما يريدانك على الخمول والفتور ، ولئن كنت فى ريب مما أقول ، فاجمع كتبك واحرقها ثم أعد صفها وطبعها ، وهى خلو من ذكر المرأة ، كل من فيها من الأبطال ، رجال فى رجال ، ثم انظر ماذا يكون ، إنها ستبلى ويعلوها الشحوب ، وهى معلقة بأبواب الوراقين ، حتى إذا يئس الباعة من عرضها على المعرضين عنها نبذوها وراءهم ، وطرحوها جنبات الدروب حتى يمر بها الكانس فيلمها ويرميها فى مطارح الإهمال والبلى . وستمر بك أيام أشد سواداً من الليل تهدهد كبرياءك وتخمد صيتك ، فينساك بعدها الناس ، وتنطفئ من الأدب العربى الحديث شعلة ساطعة ، فإذا صرت إلى هذا الدمار جن جنونك ، وضربت بيدك منضدة الكتب ، فمادت بما عليها واندلع الحبر من دواتك على القراطيس البيض ، فيثور ثائرك وتحطم قلمك وتقذف به إلى حيث لا تمسك به ما حييت

أنت يا عدو المرأة فيك طبع المرأة . يقول الفلاسفة الذين أفسدوا قلبك عليها : إذا أجابت المرأة بلا فإنما هى قائلة فى سرها نعم . وإذا أبغضت فقد أحبت ، وإن كثيراً من النساء كن يكرهن الرجال فهوين على أقدامهم مقبلات ، وما أنت يا توفيق الحكيم إلا أشد محب للمرأة وأصدق نصير لها ، تملأ أحلامك بالرواء والبهاء ، وتطوف بروحك كما يطوف الجمال بفنك ، وتراها تسكب فى فكرك سراجاً وهاجاً يضيء عبقريتك ، ويلهمك البراعة والابداع . ومن يدرى فلعل وراء آثارك العظيمة امرأة تهزك وأنت تحلم ، وتوحى إليك وأنت تكتب ، من عندها تفجر